مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: تأثير نوع العمل في تغير قيمة الأرض في الريف بين القيمة الاجتماعية والقيمة المادية (قرية جديدة عرطوز أنموذجاً)
اسم الكاتب: د. يحيى سليمان قسام
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2828
تاريخ الاسترداد: 2025/06/14 08:08 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تأثير نوع العمل في تغير قيمة الأرض في الريف بين القيمة الاجتماعية والقيمة المادية (قرية جديدة عرطوز أنموذجًا)

د. يحيى سليمان قسام*

الملخص

تعدُّ دراسة الريف من الدراسات التقليدية، فمن جهة تتعدد العوامل التي تؤثر في الحياة الريفية، ومن جهة ثانية تتعدد الظواهر الممكن دراستها، ومن جهة ثالثة يحدث تغيرٌ مستمر على هذه الظواهر. ويشكل العمل في الأرض جوهر العلاقة بين الفلاح وأرضه، إلاّ أن هذا النوع من العمل (فلاح←أرض) الذي يؤديه الفلاحون، لم يعد محصورًا في العمل الزراعي بالنسبة إلى أبنائهم، وأصبح العمل في الريف، وخاصة القريب من المدن، متنوعًا مع تعدد الحرف والمهن والاختصاصات، ما أدى إلى الابتعاد المستمر لأبناء الريف عن العمل في الأرض، ومن ثمّ ضعف الانتماء إليها، وبدأت تفقد قيمتها الاجتماعية التي كان يعتز بها الفلاحون، وأضحت سلعة يسهل بيعها وشراؤها، أي أضحى لها قيمة مادية، ما أدى إلى ضعف الانتماء إلى القرية.

ولذلك أتى هذا البحث ليلقي الضوء على مسألة محددة وهي:

أثر تغيّر نوع العمل في القرية في القيمة الاجتماعية للأرض.

تركز البحث الميداني في قرية (جديدة عرطوز)، كنموذج للقرى التي تغزوها المدينة، ويبتعد سكانها عن العمل في الأرض، ولاسيَّما المتعلمين والحرفيين منهم، متجهين إلى أعمال أخرى، ما يؤدي إلى الابتعاد المستمر عن الأرض، وإلى ضعف علاقة الانتماء مع القرية بشكل مستمر.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، ما مكن من الإفادة من الملاحظات التي رصدت، والتي صيغَتْ كمؤشرات في أداة الاستبانة، التي مكنت من جمع المعلومات وتحليلها، ثم صياغة النتائج التي أُدرجَت في نهاية البحث.

* جامعة الشام الخاصة، قسم المتطلبات.

The Effect of the Type of Work on the Value of Land in the Countryside: Between Social and Material Value A Field Study (Jdeidat Artouz as a Model)

Dr. yahyaa sulayman qusam**

Abstract

The study of the countryside is considered one of the traditional studies. First, there are many factors affecting life in the countryside. Second, phenomena that are liable to study are diverse. Third, these phenomena are constantly changing. Farming forms the essence of the relationship between the farmer and the land. However, the work done by farmers children is not limited to farming. Working in the countryside, especially next to cities, became diverse with the diversity of professions and specialties, and this led to the continuous departure of the sons of countryside from work in the land causing the weakness of belonging to it, and thus the land losing its social value, which was cherished by the peasants, and becoming a commodity easy to sell and buy.

This field study focuses on a specific issue: the effect of change in the type of work in the village on the social value of land. The study took the village of "Jdeidat Artouz" as a model for the villages invaded by the city. Its residents are straying away from agricultural work, especially those who are educated, to other jobs. That leads to the continuous departure from the land. The research relied on the descriptive analytical method, which enabled benefiting from the observations obtained, which were formed as indicators in the means of study, enabling data collection and analysis and then the formulation of the results that were included at the end of the research.

** Sham Private University, Department of Requirements.

المقدمة:

شهدت القرى في أغلب الأرياف العربية تغيرات مهمة أدت إلى تغير في أنماط المعيشة بشكل عام، ولم تخرج القرية السورية عن هذه التغيرات" **لأن كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي، سواء في بنائه أو في وظائفه، خلال مدة معينة من الزمن، ينصب في التغيير السكاني للمجتمع، أو في بنائه الطبقي، أو أنظمته الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات**"[1]

ويعدُّ التغير الأهم الذي طرأ على القرية هو التغير في نوع العمل الذي أدى إلى زعزعة العلاقة بين الفلاح والأرض، الأمر الذي يؤدي إلى ضعف مفهومي الانتماء للقرية والارتباط بالأرض من جهة، وإلى إحداث تغير في قيمة الأرض، وتحولها من قيمة اجتماعية إلى قيمة مادية.

أولًا: إشكالية البحث:

تغيرت البنية الاجتماعية في الريف بفعل تضافر عدد من العوامل الداخلية والخارجية، وتمركزت شدة هذا التغير في القيمة الاجتماعية للأرض التي تعدُّ في كثير من الأدبيات الاجتماعية **(قيمة القيم ومصدرها)**[2]، ويشكل العمل في الأرض عامل الارتباط الأساس في العلاقة بين الفلاح والقرية. ولكن الذي حصل أن تحولًا في نوع العمل الذي يمارسه أبناء القرى في بعض الأرياف، وخاصة القريبة من مراكز المحافظات، لم يعد العمل في الأرض، وما تتطلبه العملية الزراعة.

كانت القرى في الريف السوري قرى زراعية، تعتمد في حياتها على ما تنتجه الأرض والمزرعة، وكان الحرفيون في القرية، من أبنائها، يلبون احتياجاتها الأساسية، مثل النجار والخياط و الحلاق...إلخ، وكان الفلاح يشعر بالسعادة وهو يعمل في أرضه ويزرع أشجارها، قال محمد كرد علي في هذا المجال: " **ويفرح الفلاح بكل شجرة يزرعها في الحدّ بينه وبين جاره، تفرّش أغصانها على غير أرضه، وهو يقطف ثمارها**"[3]. ولكن الذي حصل أن تنوعًا كبيرًا طرأ على نوع العمل الذي أصبح يمارسه أبناء القرية السورية، في أغلب الأرياف السورية، وخاصة القريبة من مراكز المحافظات، وحتى الحرف الأساسية التي كانت تخدم الفلاح أضحت ثانوية، فنرى في أي قرية، تعددًا في الحرف والورش، وتنوعًا في الاختصاصات العلمية، واتجاهًا عامًا أبعد الأبناء عن العمل

[1]- بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلح العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1978، ص: 382.
[2]- بركات، حليم: المجتمع العربي المعاصر، ط5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص: 85.
[3]- كرد علي، محمد: غوطة دمشق، دار الفكر، 1984، ص: 140.

الزراعي، أي العمل في الأرض، وبدأ ذلك في السبعينيات من القرن العشرين، واستمر يتزايد في تأثيره، ويتنوع في عوامله، ومعه يزداد الاندماج مع الأعمال الأخرى، غير العمل بالأرض، وبدأت الأرض تفقد قيمتها الاجتماعية التي كان يتغنى بها الفلاح خلال وجوده عليها، والتساؤل:

والآن، ونحن في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، هل مازالت العلاقة بين الفلاح والأرض التي عايشها الآباء من الجيل الذي تجاوز الخمسين من عمره، هي ذاتها التي يعيشها أبناؤهم، أم أن القيمة الاجتماعية للأرض، بالنسبة إلى الأبناء قد تغيرت إلى قيمة مادية، اقتصادية، تقدر بالمبالغ والأرقام، كقيمة لأي سلعة تباع وتشترى؟ وما النظرة المستقبلية التي ينظر منها أبناء القرية من غير العاملين في الأرض إلى هذه العلاقة، وهل يشعرون بالانتماء أم بالاغتراب؟

وتعدُ قرية جديدة عرطوز أنموذجًا للقرية الريفية التي غزتها عوامل التغيّر الاجتماعي، فتنوعت فيها الحرف اليدوية، وتعددت الاختصاصات العلمية، وتوجه أبناؤها نحو التعليم، وابتعد أغلبهم عن العمل الزراعي، فتقلصت مساحة الأرض المزروعة. فهل مازال أبناء القرية ينظرون إلى الأرض كقيمة اجتماعية توارثتها الأجيال، أم أنها غدت في نظرهم سلعة ذات قيمة مادية، يسهل بيعها والتنازل عنها؟

يقول دوركهايم: "**إنه لفهم المجتمع، لا تكفي دراسة الوسائل التي تنتشر من خلالها المعايير، بل يجب دراسة مصادر هذه المعايير التي تشكل خصوصية كل مجتمع، وعليه، يجب عدم النظر من جهة المشاعر الفردية إنما من جهة ما يفرض عليها**" [4]

هذا ما حاولنا إلقاء الضوء عليه في هذا البحث، من خلال دراسة أثر تغير نوع العمل في القيمة الاجتماعية للأرض في قرية جديدة عرطوز، كقرية من قرى الغوطة الغربية لريف دمشق، أنموذجًا.

ثانيًا: أهمية البحث وتساؤلاته:

1- أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته من الأهمية الاجتماعية للقرية من جهة، ومن أهمية العلاقات التي تربط القرويين بأرضهم من جهة ثانية، وخاصة عندما يتم تبادل الجهد الذي يقدمه الفلاح بالإنتاج الذي تعطيه الأرض.

وثمة أهمية ثالثة تعبر عن جوهر مفهوم الانتماء وعمقه، فالانتماء إلى الأرض، ممثلة بالقرية الزراعية، هو أقوى درجات هذا المفهوم وأشدّها.

---

[4]- كابان، فيليب؛ ودورتيه، فرانسوا: علم الاجتماع، مقالة كتبها لوران موشيلي، بعنوان دوركهايم، مؤسس السوسيولوجيا الحديثة، ت: حسن، إياس، دمشق، 2013، ص: 55.

كما يأخذ البحث أهمية خاصة من خلال الوقوف على حجم التغير الذي سببه تغيّر نوع العمل الذي كان يمارسه الريفيون وبين عملهم في الوقت الراهن.

ومن ثمَّ يمكن القول: إن الريف في حالة تغيّر بنيوي من جهة ووظيفي من جهة ثانية، ما يؤدي إلى تغيّر قيمة الأرض في نظر العاملين، وأصبحت في نظر بعض أبناء القرية كأي سلعة تباع وتشترى، ومنه فإن أهميةً إضافية تكمن في تلمس واستكشاف كيفية حدوث هذا التغير لقيمة الأرض.

2– التساؤلات:

وتوضيحًا لذلك، حاول البحث الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- هل يفقد المتعلمون من أبناء القرية علاقتهم بأرض العائلة بسبب تغيّر نوع عملهم؟
- هل ضعفت العلاقة بين أبناء القرية والأرض بسبب العمل في أعمال غير زراعية؟
- هل يفكر العاملون بغير العمل الزراعي، ببيع الأرض أو بشراء أرض جديدة؟
- هل يساعد الطلاب الجامعيون، من أبناء القرية، أهلهم أيام العطل؟
- هل يشعر الطلاب الجامعيون من أبناء القرية بمحبة الأرض والانتماء إليها؟
- هل يمكن أن تشكل الأرض التي يملكها الأهل في القرية مكان عمل دائمًا؟
- هل يؤثر المردود المادي الذي تعطيه الأرض الزراعية على العلاقة بها؟

ثالثًا: أهداف البحث: هَدَفَ البحث إلى:

1– معرفة العلاقة الحقيقية الموجودة الآن بين أبناء القرية وبين الأرض.

2– الكشف عن العلاقة التي تربط الفرد بالعمل، وهل تبعده عن العمل الزراعي.

3– كيف يفسر أبناء القرية، من غير العاملين بالأرض، هذا التحول الذي طرأ على قيمة الأرض.

4– مدى توافق نظرة أبناء القرية، موضوع الدراسة، غير العاملين بالأرض، مع نظرة آبائهم إلى قيمة للأرض.

5– معرفة هل حافظ الفلاحون على أراضيهم الزراعية، أم تنازلوا عنها بيعًا؟

6– معرفة النظرة المستقبلية لأبناء الريف بالنسبة إلى موقفهم من الأرض الزراعية التي تملكها العائلة.

رابعًا: الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات الميدانية للريف بشكل عام، ولكن أغلب هذه الدراسات كانت لمعرفة اتجاهات التغيّر التي حصلت وتحصل، ومع تعددها وتنوعها، لم تصل إلى الحد الذي يمكننا من القول: إنَّ هذه الدراسات قد شملت كل مجالات وميادين الريف كلّها، وقد تناولنا بعض الدراسات القريبة من مجال البحث، وهي:

1- **دراسة عبد العزيز الخطيب:** بعنوان " **اتجاهات تغيّر البنية الاجتماعية في مدينة معضمية الشام**" [5] وتوصل الباحث إلى نتائج أهمها:

- إنَّ أهم العوامل التي أدت إلى تغير المنظومة الأسرة، هي العوامل الاقتصادية بالدرجة الأولى، وارتفاع مستوى التعليم بالدرجة الثانية.
- إنَّ تغير المنظومة الاقتصادية قد حدث بسرعة كبيرة، وكانت أهم العوامل المؤثرة، زيادة عدد السكان، وعجز الأرض عن تلبية احتياجات الأفراد، وزيادة أعداد المتعلمين[6].

وهذه النتائج تقارب الهدف الموضوع لهذا البحث، لكنها لا تتعرض لإشكالية العمل وتغيّر قيمة الأرض بشكل محدد.

2- **دراسة يحيى سليمان قسام:** بعنوان "**عوامل تغير القيم في الريف**" [7]، درسَ الباحث القيم الاجتماعية في الريف، وحدد مصادرها وعوامل تغيرها، وكانت أهم النتائج التي توصل إليها:

- تتغير القيم الاجتماعية في الريف بفعل تأثير عوامل داخلية وأخرى خارجية.
- ينشئ كل مجتمع محلي قيمًا اجتماعية خاصة به، تتلاءم مع البيئة وطبيعة العمل.
- تتغير القيمة الاجتماعية للأرض من قرية إلى أخرى وتتأثر بشكل خاص بالقرب أو من المدينة أو البعد عنها.
- إن مستوى التعليم يؤثر في نسق القيم الاجتماعية، ويبدل ترتيب مكوناته.
- هناك اختلاف في الأنساق القيمية بين الأجيال في القرية الواحدة.[8]

3- **دراسة ثريا التركي، وهدى زريق: حول تغير القيم في العائلة العربية**[9]، ومن النتائج الدراسة:

- عجز التعليم عن النهوض بالمجتمع بسبب أخذه المنحى الوظيفي، وليس التطوير العلمي العملي للمجتمع.
- التضارب المكسبي (الربحي) للتحديث، إذ إنَّ التحديث في الوطن العربي يتميز بعدد من التناقضات الأساسية.
- إن اتجاهات التطور المشتركة، السياسية الاجتماعية والإيديولوجية ما زالت غائبة.

---

[5]- الخطيب، عبد العزيز: اتجاهات تغير البنية الاجتماعية في مدينة معضمية الشام "دراسة ميدانية"، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 2001.

[6]- المرجع السابق: ص: 9.

[7]- قسام، يحيى: عوامل تغير القيم في الريف، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 1998.

[8]- المرجع السابق: ص: 299.

[9]- التركي، ثريا؛ وزريق، هدى: تغير القيم في العائلة العربية، اللجنة الاقتصادية لغرب آسية، عمان: 1995.

4– **دراسة موسى سمحة**، بعنوان: **تباين معدلات النمو السكاني بين المدن الأربع الرئيسة الأردنية** وضواحيها[10]، وخلصت الدراسة إلى:

- إن المدن الأربع موضوع الدراسة لم تعد قادرة على استيعاب مزيد من السكان، لذلك بدأت تلفظُ تلك الزيادة إلى الضواحي، وربما تستمر هذه الحركة عدة عقود، وذلك بسبب عدم التوازن بين معدلات النمو السكانية ومستوى الخدمات.

ومن المقترحات التي قدمتها الدراسة:

- البحث عن مغريات وحوافز للعيش في المدن الصغيرة والمتوسطة.
- إنشاء بعض الصناعات أو فروع لها ولاسيَّما الخفيفة منها في المدن الصغيرة والمتوسطة.

هدفت الدراسات السابقة، التي عُرِضَت، إلى معرفة التطورات التي حدثت في الريف بشكل عام، كما تنوعت في مجالاتها الزمانية والمكانية، وتعددت الأهداف التي توخت الوصول إليها.

فدراسة الباحث عبد العزيز الخطيب كانت في ريف دمشق الغربي، وتوجهت نحو معرفة التغيرات التي حصلت في مجتمع البحث، من خلال تأثير العوامل المختلفة في المنظومات الاجتماعية في مجتمع البحث.

بينما هدفت دراسة يحيى قسام إلى معرفة عوامل التغير المختلفة التي أثرت في نسق القيم الاجتماعية في ريف دمشق، واعتمد في ذلك طريقة المقارنة لقياس شدة تأثير هذه العوامل في مجتمع البحث المتمثل في قريتين من قرى ريف دمشق (زاكية، وصحنايا)، وظهر واضحًا التباين بين نسق القيم في كلٍ من القريتين.

بينما أخذت الدراسة الثالثة منحى أكثر تحديدًا مركزة على تغيّر القيم ضمن العائلة العربية وما العوامل الأساسية في هذا التغيّر؟ وتوصلت إلى معيقات التغيّر الأساسية، وهي:

- عجز المناهج التعليمية عن إحداث التطورات المنشودة.
- الضغط الاقتصادي.
- الاتجاهات المشتركة للتطور، السياسية والاجتماعية والإيديولوجية، وتخلفها عن الإمساك براية التطور.

أمَّا الدراسة الرابعة فأخذت المنحى السكاني/العددي، ودرست معدلات النمو السكاني كعامل مؤثر يؤدي إلى توسع التجمعات السكانية، وما تفرضه من تغيّر موازٍ في القيم الاجتماعية من جهة، وما تنشأ من ظواهر اجتماعية جديدة في هذه التجمعات، مثل البطالة، والتشرد...إلخ.

---

[10]– موسى، سمحة: تباين معدلات النمو السكاني بين المدن الأربع الرئيسة الأردنية وضواحيها، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (32)، العدد (1)، 2016، ص: 135.

أمَّا هذه الدراسة فتأتي في السياق العام لدراسة الريف، من خلال العلاقة التاريخية بين الفلاح والأرض، التي جوهرها العمل الزراعي في الأرض، الذي يعطي للأرض قيمة اجتماعية لا يدركها إلاّ من يعمل بالأرض، ولكن تغيرًا ما حصل في الريف بشكل عام، وخاصة الريف القريب من المدن، أدى إلى تغيّر نوع العمل، وجنوح الأبناء إلى أعمال أخرى.

إن بلدة جديدة عرطوز تمثل نموذجًا للقرى التي تمدنت، ولقربها من المدينة انتشر التعليم فيها في مرحلة مبكرة من القرن العشرين، وتعددت الحرف والمهن التي يقوم بها أبناء القرية، وبسبب الزيادة الكبيرة في عدد سكان المدن، غزيت من المدينة، وتمركز فيها أضعاف سكانها الأصليين، ومن ثمّ تزايدت الحرف والمهن وتنوعت الاختصاصات التي يقوم بها أبناء القرية، ومارسوا مهنًا وحرفًا لم تكن موجودة، الأمر الذي جعل من العمل الزراعي، بالنسبة إلى السكان الأصليين عملًا ثانويًا، ومن هذه الناحية فإنَّ هذا البحث ينسجم مع الدراسات السابقة في إطار الريف، لكنه يتعرض لمسألة لم تبحث من قبل، وبذلك يكمل هذه الدراسات.

خامسًا: المصطلحات والتعاريف الإجرائية:

1- القرية Village: هي تجمع سكاني يتموضع في السهل، ويعمل سكانها بالزراعة وتربية المواشي والدواجن بشكل أساسي. وفي مجال البحث يقصد بها (جديدة عرطوز).

2- الأرض الزراعية Farming Earth: هي الأرض التي تعمل بها العائلة والمروية من مياه النهر أو من البئر الارتوازي وفي مجال البحث قد تكون قطعة واحدة أو أكثر من قطعة.

3- الحرفي Literal: الفرد من سكان القرية (ذكر، أو أنثى) جعل من الحرف اليدوية (نجار، خياط، حلاق...إلخ) مصدرًا أساسيًا لمعيشته.

4- الاختصاصي Specials: الفرد (ذكر، أو أنثى) من سكان القرية، المتعلم والمتخصص بأحد الاختصاصات الجامعية العلمية (مهندس، محامٍ، طبيب...إلخ) ويعمل باختصاصه.

5- الطالب الجامعي University Student: الطالب الجامعي (ذكر أو أنثى) من سكان القرية، الذي تجاوز السنة الدراسية الثالثة وما زال في الجامعة يتابع دراسته، أو طالب يحضر للماجستير أو للدكتوراه.

6- القيمة الاجتماعية Social Value: القيم بشكل عام هي "**المعتقدات في الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجه مشاعرهم ومواقفهم وتصرفهم واختياراتهم، وتنظم علاقاتهم بالواقع والمؤسسات والآخرين وأنفسهم والمكان والزمان، وتسوغ مواقعهم، وتحدد هويتهم ومعنى وجودهم.**" [11] أمَّا القيم الاجتماعية للأرض في الريف فهي القيم المنبثقة من الأرض، التي يتمسك بها الريفيون، وتشكل مصدر انتمائهم واعتزازهم، وتعدُّ المحافظة على ملكية الأرض دليلًا على تمثل هذه القيمة..

[11]- بركات، حليم: مرجع سابق، ص: 324.

7– القيمة الاقتصادية للأرض Economic Value Earth: عندما تفقد الأرض قيمتها الاجتماعية تتحول إلى سلعة ذات ثمن يسهل التخلي عنها، وبيعها وشرائها.

سادسًا: النظرية الاجتماعية المعتمدة ومنهجية البحث وأدواته:

1– النظرية الاجتماعية للبحث:

يقوم البحث استنادًا إلى نظرية (روبرت بارك) التي تفترض: "**أن الاستقرار الاجتماعي يكمن في عملية التطور، وكذلك يقوم التوازن الاجتماعي على أساس التطور، كما تفترض أن الناس منشغلون باستمرار في الكفاح من أجل الوجود والبقاء، وتصبح المنافسة بينهم من أجل الحصول على هذا الهدف**" [12]، واستنادًا إلى هذه الفرضيات، ومن خلال الواقع الاجتماعي في الريف السوري، بشكل عام، وقرية جديدة عرطوز بشكل خاص، لوحظ توجّهٌ عامٌ نحو مجالات عمل أخرى غير العمل الزراعي، هذا التوجه في مجمله، يهدف إلى تحسين الحالة المعاشية، وتأمين متطلباتها المتزايدة، التي لم يستطع العمل الزراعي أن يلبيه، ولذلك لجأ الريفيون في الربع الأخير من القرن العشرين والعقدين الأول والثاني من القرن الحادي والعشرين إلى التوجه نحو أعمال أخرى، حرفية وعلمية، ما أدى إلى تحول قيمة الأرض من قيمة يعتز بها الفلاحون إلى قيمة مادية يتاجر بها أصحاب الأموال، وإلى زعزعة قوة التماسك الاجتماعي المستمدة من الأرض، ومن ثمَّ قد تفقد الأرض قيمتها الاجتماعية، ويضعف الانتماء، وهذا ما حاول البحث معرفته.

2– منهجية البحث وأدواته:

استنادًا إلى نظرية (روبرت بارك) في التوازن من خلال التطور، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يمكّن من وصف البيئة الاجتماعية المتمثلة في قرية (جديدة عرطوز)، ومعرفة التغيرات التي طرأت عليها، كالتغيّر في شكل السكن وعدم ملاءمته للعمل الزراعي، وتنوع مجالات العمل التي أدت إلى تغيّر كبير في نسق القيم الاجتماعية السائدة تقليديًا في الأرياف، والمستمدة أساسًا من الأرض، وكذلك يمكن هذا المنهج من تحليل المعطيات التي يمكن الحصول عليها من خلال طرائق البحث وأدواته، والتي تمثلت:

آ– **طريقة الملاحظة:** إذ مكنت من رؤية التغيّر في شكل السكن، وتنوع المحلات التجارية وتعددها ووجود الورش والحرف في القرية موضوع البحث. كما مكنت من رؤية تغير الأدوات التي يستخدمها الفلاحون في أعمالهم، والأوقات التي يقضونها في العمل بالأرض.

ب– طريقة المقارنة: واستخدمت للمقارنة بين إجابات الفئات العمرية من جهة وبين إجابات الحرفيين والمتعلمين من جهة ثانية، وبين الذكور والإناث من جهة ثالثة.

[12]– http: //alfarid1–yoo7. Com/loginy. 2018/7/11 .

كما مكن من استخدام **أداة الاستبانة** التي مكنت من صياغة الأسئلة والمؤشرات المختلفة المتعلقة بالفروض الموضوعة، التي سهلت لأفراد العينة الإجابة عنها، بعد أن اعتمدت كأداة رئيسة لجمع المعلومات. ملحق (1).

سابعًا: مجالات الدراسة:

1- المجال الزماني: أُجرِيَت الدراسة من شهر أيلول 2017 حتى نيسان 2018.

2- المجال المكاني: بلدة جديدة عرطوز، تقع في الغوطة الغربية لمدينة دمشق، وتبعد عنها /7/ كم، ويحدها من الشمال: سلسلة جبال الحرمون، ومعضمية الشام، ومن الشرق: قرية معضمية الشام وبلدة صحنايا، ومن الجنوب: جبل التوتة وسهول الدير خبية، ومن الغرب: عرطوز. تقدر مساحتها بنحو /100/كم^2، منها 40/ كم^2 تقع في الجهة الشمالية تلال وسهول بعلية، وغير صالحة للزراعة، وقام على حدّها الشمالي (شمال الطريق العام) تجمع سكاني سُمي (جديدة الفضل)، ومعظم سكانه من محافظة القنيطرة.

3- مجتمع البحث[13]:

آ- السكان والفئات العمرية:

يبلغ عدد سكان القرية الأساسيين نحو/13/ ألف نسمة، منهم /6200/ ذكور، و/6800/ إناث، وهؤلاء هم موضوع البحث. أمَّا العدد الحالي، فتجاوز /150/ نسمة بسبب الهجرة المتزايدة إليها، وهؤلاء لم يشملهم البحث، والجدول الآتي يبين توزيع الفئات العمرية في مجتمع البحث:

جدول (1): توزيع الفئات العمرية لقرية جديدة عرطوز

الفئة العمرية	ذ		إ	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة
5 . 1	310	%5	340	%5
15 . 6	930	%15	1020	%15
25 . 16	1550	%25	1700	%25
35 . 26	1426	%23	1564	%23
44 . 36	1054	%17	1156	%17
55 . 45	620	%10	680	%10
56 وأكبر	310	%5	340	%5

[13]- الأرقام تقريبية بسبب عدم وجود إحصائيات دقيقة، تم الحصول عليها من دائرة الأحوال المدنية في البلدة، ومن نشرة إحصائية صادرة عن محافظة ريف دمشق عام (2014) ومن مختار جديدة عرطوز.

ب– مجالات العمل:

أجريت مقابلة مع المعنيين في بلدية جديدة عرطوز، فأعطوا معلومات تقريبية عن عدد المحلات والورش المرخصة، ثم أُجريَ مسح ميداني لمعرفة نوعية المحلات في القرية وعددها، وظهر تنوعٌ [إلى حدٍ بعيد] في مجالات العمل الحرفي والخدمي، وكذلك في مجالات التخصص العلمي، وتبيَّن أنه بالنظر إلى توسّع القرية، حتى غدت مدينة، ولزيادة عدد سكانها، حصل تطور كبير في شكل السكن، ما أدى إلى هجرة وافدة إليها، من جهة وإلى تنوع مجالات العمل وتعددها من جهة ثانية، وإلى تنوع الحاجات والمطالب الاجتماعية، ومن ثمَّ تغيرت النظرة القيمية إلى الأرض، وأصبح ما قاله دوركهايم: " **بأنَّ المعتقدات مثل الدين والأخلاق، والشعور بالانتماء هي التي تضمن التماسك الاجتماعي في المجتمعات القديمة، () أمَّا في المجتمعات المتطورة فإن تقسيم العمل يؤدي إلى تنوع وظيفي، يقود إلى تفكك أسس الأخلاق، ويصبح التضامن المهني (الوظيفي) أساسًا للتماسك الاجتماعي**"[14] يصبح هذا القول صحيحًا وسائدًا.

ومع تنوع مجالات العمل في القرية، تنوعت القيم، لأنّ كل مهنة تنتج قيمها، وهكذا تعددت النظرة إلى قيمة الأرض، إذ نرى في القرية مجالات العمل التي أمكن تصنيفها إلى أربعة مجالات رئيسة:

1– **العاملون في الزراعة:** ويعدّونها موردًا أساسيًا لحياتهم، وهم ثلاث فئات:

آ– فئة تعمل في البستنة.

ب– فئة تعمل في تربية الدواجن.

ج– فئة تعمل في تسمين الأبقار والمواشي.

2– **العاملون في مختلف مجالات المهن والحرف والبناء:** وهم أربعة فئات:

آ– فئة تعمل في مجال البناء، (وكلهم من الذكور)، الجدول (2).

الجدول (2): الفئة التي تعمل في البناء

المهنة	نجار حداد باطون	طيان وبلاط ومعمار	تمديدات صحية وكهربائية	نجار عربي وافرنجي	صاحب مكتب عقاري	المجموع
العدد التقريبي	27	31	33	27	23	131

[14]– كابان، فيليب: مرجع سابق، ص: 365.

ب- فئة تعمل في مجال إصلاح السيارات وصيانتها وخدمتها، (أيضًا من الذكور). كما في الجدول (3).

الجدول (3): الفئة التي تعمل في إصلاح وصيانة خدمة السيارات

ميكانيك	كهرباء	بيع قطع	خرطة	تجليس	خراطة	المجموع
13	16	11	5	9	4	58

ج- فئة تعمل في مجال الحرف اليدوية المختلفة، (ذكور وإناث)، الجدول (4).

الجدول (4): الفئة التي تعمل في الحرف اليدوية المختلفة

خياط	حلاق	منجد	لحام	طباعة	نوفوتيه	غذائيات	مصور	مختلفة	مجموع
12	32	4	16	3	35	46	5	56	209

3- العاملون في الاختصاصات العلمية، أو بشهاداتهم المتنوعة (ذكور وإناث): ومنهم الموظفون: (أطباء، صيادلة، مهندسون مختلف الاختصاصات، محامون وقضاة، أساتذة جامعيون، معلمون، موظفون...إلخ: حسب الجدول (5).

الجدول (5): العاملون في الاختصاصات العلمية، أو بشهاداتهم المتنوعة (ذكور وإناث)

طبيب	صيدلي	محامي	مهندس	قاضي	أ. جامعي	معلم	موظف	المجموع
22	42	20	27	4	6	201	461	794

4- الطلاب والطالبات في مختلف مراحل الدراسة: كان لقرب جديدة عرطوز من المدينة ولتوافر وسائط النقل، أن انتشر التعليم فيها في مرحلة مبكرة من القرن العشرين، فحصل عددٌ كبير من أبنائها على الشهادات العالية في مختلف الاختصاصات، ومارسوا اختصاصهم في القرية أو في المدينة، ومن ثمّ هجروا العمل الزراعي، وكذلك قام المتعلمون الأوائل بتوجيه أبنائهم نحو التعليم. والجدول الآتي يبين عدد الطلاب في القرية، حسب مراحل التعليم، الجدول (6).

الجدول (6): الطلاب والطالبات في مختلف مراحل الدراسة

ابتدائي	إعدادي	ثانوي	جامعي	ماجستير	دكتوراه	المجموع
705	1050	955	575	25	8	3310

- العينة ووحدة التحليل:

آ- **العينة:** استنادًا إلى توزع الفئات العمرية، وإلى تنوع مجالات العمل أمكن تحديد العينة واختيارها وفق المعطيات الآتية:

1–أن يكون الفرد الذي يمثل وحدة التحليل (ذ، أ)، ينتمي لأسرة تملك أرضًا ويعمل بها أفراد الأسرة.

2–أن يكون أفراد العينة من السكان الأصليين، ومن الفئتين العمريتين (25–34) و (35–44)، لأنَّ أفراد هاتين العينتين أكثر انخراطًا في مجالات العمل، ووعيًا لما يجب أن يكون، ولأنهما عاصرتا جيل الفلاحين من الآباء.

3–نظرًا إلى أنَّ المرأة الريفية، الفتاة، تتبع زوجها أو أهلها، فإن نظرتها إلى الأرض هي نظرة العائلة التي تنتمي إليها نفسها، عدا الأمهات الاختصاصيات فلهن نظرة مستقلة.

4–حُدِّدَت عينة عمال البناء والعاملين في إصلاح السيارات وصيانتها كما في الجدول الآتي:

الجدول (7): توزيع العينة عمال البناء وإصلاح السيارات

الفئة العمرية	عمال البناء	إصلاح السيارات وصيانتها	المجموع
34 . 25	5	5	10
44 . 35	5	5	10
	10	10	20

5–اختير الحرفيون ممن يعملون في مهن مستقلة، وبالنسبة إلى الإناث (خياطة ـ صالون حلاقة وتجميل) حسب الجدول الآتي:

الجدول (8): توزيع العينة الحرف اليدوية

الفئة العمرية	ذ	إ	المجموع
34 . 25	10	5	15
44 . 35	10	5	15
	20	10	30

6–اختيرت عينة الاختصاصيين والموظفين من الذين يعملون في اختصاصهم العلمي، ومن الموظفين على رأس عملهم (ذكور وإناث)، حسب الجدول الآتي:

جدول (9): توزيع العينة على الاختصاصات العلمية والموظفين

الفئة العمرية	الاختصاصات العلمية		المجموع	الموظفون		المجموع	المجموع الكلي
	ذ	إ		ذ	إ		
34 . 25	20	10	30	15	5	20	50
44 . 35	20	10	30	15	5	20	50
المجموع	40	20	60	30	10	40	100

7- بالنسبة إلى الطلاب، من الجنسين، ممن يدرسون في الجامعة وتجاوزوا السنة الدراسية الثالثة، أو يحضِّرون للماجستير أو للدكتوراه، ويعيشون في منزل أهلهم، وعلى هذا الأساس اختيرت ووزّعت العينة كما في الجدول (10).

الجدول (10): الطلاب من الجنسين، ممن يدرسون في الجامعة، وتجاوزوا السنة الدراسية الثالثة، أو يحضرون للماجستير، أو للدكتوراه

الفئة العمرية	ذ		إ		المجموع
	جامعي	دراسات عليا	جامعي	دراسات عليا	
34 . 25	30	5	10	5	50
المجموع	30	5	10	5	50

ب- وحدة التحليل: الفرد (ذكر، أنثى) من الفئات العمرية المحددة، ومن أبناء البلدة الذين يعملون بأحد المجالات المبينة في الجداول السابقة، وينتمي إلى أسرة مازال الأبوان فيها يملكان أرضًا زراعية.

ثامنًا: الفروض:

يقول حليم بركات: "**يواجه علم الاجتماع العربي مهمة مزدوجة: مهمة التحرر من المفاهيم والتعميمات المتوارثة، ومهمة دراسة الواقع العربي من الداخل ومن منظوره وفي سبيله، وهذا لا يعني تقبل الواقع كما هو والانسجام معه، وتبني المنظور العربي الغيبي التوفيقي الذي ينكر التناقضات والأزمات بدلًا من مواجهتها، والعمل على حلها**" [15]

ومن ملاحظة الواقع المتغير في الريف القريب من دمشق، نرى واقعًا جديدًا مخيمًا على القرية وسكانها، ما يفسح المجال لصيغة الفرض الرئيسي الآتي:

قد يفقد العاملون بغير العمل الزراعي من أبناء القرية علاقتهم بالأرض، ومن ثمَّ تصبح بالنسبة إليهم سلعة، ما يؤدي إلى التنازل عنها، بيعها أو هجرها.

ومنه تنبثق الفروض الفرعية الآتية:

قد لا يجد بعض العاملين في الحرف اليدوية والاختصاصات العلمية من أبناء القرية، وقتًا للعمل في الأرض.

- قد يضعف ارتباط أبناء القرية بالأرض كلما قلّ العمل بها.
- قد يؤدي الابتعاد عن الأرض بسبب العمل في مجال آخر، إلى جعلها سلعة، ذات قيمة مادية.

[15]- بركات، حليم: مرجع سابق، ص: 32.

- قد يزداد التماسك الداخلي لأفراد الأسرة القروية مع زيادة عمل الأسرة في الأرض.
- قد يؤدي التعليم الجامعي لأبناء القرية إلى ترك العمل الزراعي، ومن ثمَّ تصبح الأرض بورًا، وغير منتجة.
- قد لا يعرف أبناء بعض العاملين في الحرف والاختصاصات المختلفة من أبناء القرية، أراضي آبائهم، ومن ثمّ لا يشعرون بأي ارتباط بها.
- قد يفكر العاملون بغير العمل الزراعي بشراء أرض لتجميد أموالهم فقط.

تاسعًا: التحليل الإحصائي:

فُرِّغَت الاستبانة يدويًا، ثم نقلت الأرقام لكل مؤشر إلى جدول خاص به، ما مكّن من تحليلها لمعرفة مؤشرات الأرقام ودلالاتها، واعتمد في التحليل الإحصائي الأسس الآتية:

1– صُمِّمَ نموذج لتفريغ إجابات العينة.

2– رقمت الاستبانات، قبل توزيعها، كما يأتي:

- من رقم (1–20) لعمال البناء وإصلاح السيارات.
- من رقم (21–50) للعاملين في الحرف اليدوية والورش والمحلات.
- من (51–150) للاختصاصات العلمية والموظفين.
- من رقم (151–200) للطلاب الجامعيين وطلاب الدراسات العليا.

3– أدرج عمود بعد كل إجابة لمعرفة نسبتها بالنسبة إلى الفئة ذاتها، ثم بالنسبة إلى مجمل العينة.

4– قُرِّبَت كسور النسب إلى أعداد صحيحة.

5– اعتمدت طريقة المقارنة بين الأرقام الدالة على الفئات العمرية، وكذلك بين نوع العمل والاختصاص.

6– عُدَّ المؤشر ذا دلالة إحصائية إذا تجاوزت قيمته 10% من مجمل العينة.

7– في تحليل المعطيات الشخصية أُشير إلى درجة تعاون أفراد العينة، ووجد أن إجمالي الاستجابات (87%) جيد جدًا، إذ عُدَّت الاستمارات التي ملئت بأقل من (60%) من المؤشرات إجابات سلبية.

وفيما يأتي التحليل الإحصائي لكل مؤشر:

1- المؤشر (1): مساعدة الأهل في أعمال الحقل:

الجدول (11): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (1)

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	3	%30	5	%50	2	%20	10
	44 . 35	ذ	5	%50	3	%30	2	%20	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	2	%20	6	%60	3	%30	10
		إ	–	–	4	%80	1	%20	5
	44 . 35	ذ	4	%40	5	%50	1	%10	10
		إ	1	%20	3	%60	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	5	%17	22	%71	3	%12	30
		إ	2	%10	17	%85	1	%5	20
	44 . 35	ذ	8	%27	17	%56	5	%17	30
		إ	–	–	17	%85	3	%15	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	14	%40	15	%43	6	%17	35
	44 . 35	إ	2	%13	12	%80	1	%7	15
المجموع			46	%23	123	%62	31	%15	200

يعبر العمل في الأرض عن شدة علاقة الفرد بها، ولمّا كان الفرد من العيينة جزءًا من الأسرة، فإن مساعدتها في أعمال الحقل تعبر عن قيمة الاندماج بين مكوناتها، وعن هذا المؤشر أجاب (49) من مجمل أفراد العينة (نعم) ونسبتهم (21%)، في حين أجاب (123) بـ (لا) أي لا يساعدون أهلهم، ونسبتهم (62%)، وإذا أضيفت هذه النسبة إلى نسبة (غير محدد) فهذا يعني الابتعاد عن العمل في الأرض ومن ثمَّ ضعف الارتباط بها.

وإذا أخذنا نسب الفئات العمرية، نرى أن الفئة العمرية الأولى أقل مساعدة للأهل من عينة الفئة العمرية الثانية وخاصة الذكور (50% . 40% . 40%)، وبالنسبة إلى الجنس نرى أن الذكور، ومن مختلف الفئات وأنواع العمل، أكثر مساعدة أيضًا. أما أقل الفئات مساعدة، فكانت من الطلاب فئة ثانية (13%)، يليها العاملين في الاختصاصات العلمية فئة ثانية (17%).

2– أخرج إلى البرية وأعرف أراضي الأهل:

الجدول (12): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (2).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	8	%80	–	–	2	%20	10
	44 . 35	ذ	10	%100	–	–	–	–	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	6	%60	2	%20	2	%20	10
		إ	1	%20	1	%20	3	%60	5
	44 . 35	ذ	7	%70	–	–	3	%30	10
		إ	3	%60	1	%20	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	10	%50	6	%20	9	%30	30
		إ	5	%25	10	%50	5	%25	20
	44 . 35	ذ	19	%63	6	%20	5	%17	30
		إ	6	%30	4	%20	10	%50	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	18	%50	9	%26	8	%24	35
	44 . 35	إ	9	%60	4	%26	2	%14	15
المجموع			107	%53	43	%22	50	%25	200

إذا كان الفرد يساعد أهله فلابدَّ له من الخروج إلى الأرض التي يملكها الأهل، وأن يعرف موقعها، وعن هذا المؤشر أجاب (54%) من أفراد العينة (نعم) يخرجون إلى البرية ويعرفون أراضي أهلهم، و (24%) لا يعرفونها، و (25%) غير محدد، وكانت أعلى نسبة للإجابة بـ (نعم) من العاملين في البناء وإصلاح السيارات (90%)، يليها الذكور العاملون في الحرف والورش والمحلات (65%) وللفئتين، في حين أقل نسبة كانت للذكور العاملين في الاختصاصات العلمية (27%) للفئتين، وانخفضت نسبة الإناث بشكل عام، ولأفراد العينة كلّهم، ووصلت إلى (35%) للعاملات في المحلات ولفئتي الاختصاصيات والموظفات. إن العاملين في مجالات الورش والحرف وأعمال البناء يوجدون في القرية دومًا، ولذلك يخرجون إلى البرية، أمَّا الموظفون والعاملون في الاختصاصات العلمية من الإناث، فليس لديهن الوقت، وقد هجرن العمل في الأرض في سنٍ مبكرة، ولذلك يمكن القول: إن الوجود في الأرض في القرية، من أعمال الرجال بشكل عام.

3- المؤشر (3): يعمل أفراد العائلة في الأرض عملًا دائمًا:

الجدول (13): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (3).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	4	%40	3	%30	3	%30	10
	44 . 35	ذ	6	%60	2	2%20	2	%20	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	5	%50	3	%30	2	%20	10
		إ	2	%40	20	%40	1	%20	5
	44 . 35	ذ	3	%30	6	%60	1	%10	10
		إ	–	–	3	%60	2	%40	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	8	%26	18	%60	4	%14	30
		إ	5	%25	12	%60	3	%15	20
	44 . 35	ذ	12	%40	15	%50	3	%10	30
		إ	11	%55	6	%30	3	%15	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	17	%50	8	%23	10	%27	35
	44 . 35	إ	8	%50	5	%33	2	%17	15
المجموع			81	%40	83	%42	36	%18	200

يعبر هذا المؤشر عن استمرارية العلاقة مع الأرض من خلال العمل فيها، وتساوت نسبة من يعملون مع نسبة من لا يعملون تقريبًا (40%) لكلتا الإجابتين، بينما أجاب (18%) (غير محدد)، وهذه الإجابة تدل على الجهتين معًا؛ أي إنَّ الأهل لا يعملون عملًا دائمًا. وكانت أعلى نسبة (نعم) للعاملين في مجال البناء وإصلاح السيارات، ومن الذكور العاملين في مجال الحرف والورش والمحلات (50%).

والأهل في هذا المجال هم سكان القرية الأساسيون، ولذلك كانت النسب متقاربة، بين عينة نوع العمل والجنس والفئات العمرية، وإن نسبة (50%) من الأهل، تقريبًا، مازالوا يخرجون إلى الأرض، وهي نسبة قليلة في القرى، ما يدل على تراجع عام لعمل الأسرة في الأرض.

4– المؤشر (4): تعامل أفراد العينة مع الدواجن والمواشي:

الجدول (14): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (4).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	7	%70	3	%30	–	–	10
	44 . 35	ذ	8	%80	2	%20	–	–	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	5	%50	2	%20	3	%30	10
		إ	3	%60	1	%20	1	%20	5
	44 . 35	ذ	6	%60	3	%30	1	%10	10
		إ	4	%80	--	–	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	8	%27	17	%57	5	%16	30
		إ	4	%20	14	%70	2	%10	20
	44 . 35	ذ	12	%40	12	%40	6	%20	30
		إ	8	%40	8	%40	4	%20	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	7	%20	23	%70	5	%10	35
	44 . 35	إ	2	%13	11	%74	2	%13	15
المجموع			74	%37	96	%48	30	%15	200

تعدُّ تربية المواشي والدواجن من سمات العمل الذي يمتاز به الفلاحون، وكانت إجابات أفراد العينة عن هذا المؤشر (37%) (نعم) مقابل (48%) (لا) ولوحظ أن نسبة (75%) من عينة عمال البناء وإصلاح السيارات، وكلهم من الذكور، قالوا (نعم) نستطيع التعامل مع الدواجن والمواشي، في حين تراجعت نسبة أصحاب الورش والمحلات إلى (62%) تقريبًا، وانخفضت لدى أصحاب الاختصاصات العلمية إلى (32%) فقط، والطلاب إلى (16%) تقريبًا. كذلك تراجعت نسبة الإناث العاملات في الاختصاصات العلمية والموظفات والطالبات إلى معدل قدره (62%) ممن لا يستطعن التعامل مع الدواجن والمواشي، وتشتت نسبة (15%) إلى غير محدد.

5- المؤشر (5): إنتاج الأرض يغطي نفقات الأسرة:

الجدول (15): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (5).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	2	%20	7	%70	1	%10	10
	44 . 35	ذ	3	%30	5	%50	2	%20	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	2	%20	6	%60	2	%20	10
		إ	1	%20	2	%40	2	%40	5
	44 . 35	ذ	3	5%30	5	%50	2	%20	10
		إ	–	–	4	%80	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	3	%10	23	%77	4	%13	30
		إ	5	%25	15	%75	–	–	20
	44 . 35	ذ	4	%13	24	%80	2	%7	30
		إ	2	%10	17	%85	1	%5	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	5	%14	28	%81	2	%5	35
	44 . 35	إ	1	%6	9	%61	5	%33	15
المجموع			31	%15	145	%68	24	%17	200

من المعروف أن هدف العمل الذي يقوم به الفلاح هو تغطية النفقات وتلبية المتطلبات التي تحتاجها الأسرة، وفي حال أن هذا العمل لا يلبي المتطلبات، فإنه يبحث عن عمل آخر، أو قد يهاجر، ولذلك أجابت نسبة عامة قدرها (68%) بأن إنتاج الأرض لا يغطي نفقات الأسرة، وإذا أضيفت نسبة (17%) (غير محدد) ترتفع النسبة إلى (85%)، وتصبح نسبة (15%) فقط من أسر أفراد العينة مكتفية من العمل الزراعي. وتدلُّ النسب العامة في الجدول إلى التقارب بين مختلف الفئات العمرية، وأنواع العمل والجنس، وقد يكون هذا العامل من أهم العوامل التي دفعت إلى البحث عن أعمال أخرى بالنسبة إلى شباب القرية موضوع البحث، ومن ثمَّ إلى اهتزاز القيمة الاجتماعية للأرض، وتحولها إلى قيمة مادية كأي سلعة.

6– توافق النظرة إلى قيمة الأرض بين العاملين خارج العمل الزراعي وبين الأهل:

جدول (16): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (6).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	4	%40	4	%40	2	%20	10
	44 . 35	ذ	6	%60	2	%20	2	%20	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	4	%40	6	%60	–	–	10
		إ	–	–	3	%60	2	%40	5
	44 . 35	ذ	5	%50	3	%30	2	%20	10
		إ	2	%40	2	%40	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	3	%10	22	%73	5	%17	30
		إ	1	%5	18	%90	1	%5	20
	44 . 35	ذ	8	%27	17	%56	5	%17	30
		إ	1	%5	17	%85	2	%10	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	4	%11	28	%79	3	%10	35
	44 . 35	إ	–	–	12	%80	3	%20	15
المجموع			38	%19	134	%67	28	%14	200

لكل مهنة قيمها الاجتماعية التي تشدّ العاملين بها إلى بعضهم، ولمّا كان سكان القرية يعيشون على أرضها، وضمن بيوتها، أمكن التساؤل: هل تغيرت نظرة العاملين من أفراد الأسرة من غير العاملين بالأرض عن نظرة آبائهم؟

كانت نسبة القائلين (نعم) متوافقة (19%) من مجمل إجابات أفراد العينة، مقابل (67%) غير متوافقة، ما يشير إلى تباين كبير في النظرة إلى قيمة الأرض بين نظرة الأبناء العاملين بغير العمل الزراعي وبين نظرة آبائهم، وكانت أعلى نسبة توافق (50%) بين العاملين في البناء وإصلاح السيارات/وكذلك للعاملين في الحرف والورش والمحلات، كون أبناء هذين النوعين من العمل أكثر وجودًا مع الأهل، في حين انخفضت نسبة توافق نظرة الطلاب إلى قيمة الأرض مع نظرة أهلهم إلى (15%) فقط.

تشير الإجابات عن هذا المؤشر إلى الابتعاد المتزايد عن العمل في الأرض، بالنسبة إلى القرى المتشابهة من حيث الموقع لقرية جديدة عرطوز، ويتوافق مع المؤشرين (2 و5).

7- المؤشر (7): ثقة العاملين بغير العمل الزراعي بإمكانية الاستثمار في الزراعة:

الجدول (17): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (7).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	1	%10	7	%70	2	%20	10
	44 . 35	ذ	2	%20	6	%60	2	%20	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	–	–	8	%80	2	%20	10
		إ	–	–	5	%100	–	–	5
	44 . 35	ذ	2	%20	5	%50	3	%30	10
		إ	–	–	4	%80	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	4	%19	22	%62	4	%19	30
		إ	–	–	17	%85	3	%15	20
	44 . 35	ذ	3	%10	22	%73	5	%17	30
		إ	–	–	17	%85	3	%15	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	–	–	32	%92	3	%8	35
	44 . 35	إ	–	–	14	%97	1	%3	15
المجموع			12	%6	159	%80	29	%14	200

دلت الإجابة عن هذا المؤشر على احتمال الابتعاد الكلي، مستقبلًا، عن الاستثمار في الأرض، إذ أجاب (6%) فقط بـ (نعم) يمكن الاستثمار في الزراعة، وكلهم من الذكور ومن مختلف الاختصاصات، بينما انعدمت إجابات الإناث بنعم عن هذه الإمكانية، وأجبن جميعهن أن الاستثمار في الزراعة غير مفيد، وذلك مقابل (80%) من أفراد العينة أجابوا بأن الاستثمار الزراعي غير مفيد، وبقيت نسبة (14%) مشككة في جدوى هذا الاستثمار، وهي نسبة قليلة جدًا، ما يشير إلى احتمال التنازل عن الأرض وهجرها، أو شرائها وتجميدها بورًا.

8– المؤشر (8) نسبة من باعوا أرضًا وتصرفوا بثمنها:

الجدول (18): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (8)

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	7	%70	3	%30	–	–	10
	44 . 35	ذ	4	%40	6	%60	–	–	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	5	%50	5	%50	–	–	10
		إ	3	%60	2	%40	–	–	5
	44 . 35	ذ	6	%60	4	%40	–	–	10
		إ	3	%60	2	%40	–	–	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	17	%57	13	%43	–	–	30
		إ	12	%60	8	%40	–	–	20
	44 . 35	ذ	20	%66	10	%34	–	–	30
		إ	14	%70	6	%30	–	–	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	22	%63	13	%37	–	–	35
	44 . 35	إ	9	%60	6	%40	–	–	15
المجموع			122	%61	78	%39	–	–	200

لا يحتمل هذا المؤشر التحليل، لا للفئات ولا للجنس ولا لنوع العمل، بل يعطي معلومة محددة في الإجابة عن السؤال: هل باع الأهل أرضًا وتصرفوا بثمنها؟ (نعم) أو (لا)، كانت الإجابة أن نسبة (61%) من الأهل باعوا أرضًا من أراضيهم وتصرفوا بثمنها، وذلك بغض النظر عن الأسباب الدافعة، ما يدلُّ على أن نسبة مرتفعة لم تدرك معنى التمسك بالأرض كقيمة إرثية يجب المحافظة عليها، وبأنها لم تصل إليهم إلاّ عبر الصراع مع الفقر والتعب، وأن الأجداد عدُّوها مشروع عملهم ومجال افتخارهم، ولذلك ورّثوها كما ورثوها. في الحالات كلّها صرف الفلاحون ثمنها وخسروه كما خسروها، وهذا شأن (61%) من أهالي جديدة عرطوز، وأغلب القرى المشابهة لها من حيث الموقع.

9- المؤشر (9): الارتباط المعنوي بالأرض، الاعتزاز عند العمل بالأرض:

الجدول (19): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (9)

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	5	%50	2	%20	3	%30	10
	44 . 35	ذ	6	%60	2	%20	2	%20	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	4	%40	3	%30	3	%30	10
		إ	–	–	4	%80	1	%20	5
	44 . 35	ذ	4	%40	3	%30	3	%30	10
		إ	–	–	3	%60	2	%40	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	7	%33	18	%58	5	%19	30
		إ	2	%10	15	%75	3	%15	20
	44 . 35	ذ	8	%27	18	%59	4	%14	30
		إ	4	%20	10	%50	6	%30	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	5	%14	27	%78	3	%8	35
	44 . 35	إ	1	%7	12	%80	2	%13	15
المجموع			46	%23	117	%58	37	%19	200

يشعر الإنسان بالسعادة وهو يؤدي عملًا يحبه ويستفيد منه، ولعل العلاقة بين الفلاح والأرض تمثل نوعًا من هذا الارتباط المبني على تبادل العطاء، فكلما ازداد عمل الفلاح في الأرض ازداد عطاؤها، ما يبعث السعادة في نفس الفلاح وهو يجني غلاله ومحاصيله ويقطف ثمار بساتينه، أمَّا في قرية جديدة عرطوز، وحسب إجابات أفراد عينة البحث فتبين أن العلاقة بدأت تضعف، فقط (23%) من مجمل أفراد العائلة يشعرون بهذا الشعور عن عملهم بالأرض، مقابل (48%) لا يشعرون بالاعتزاز، وارتفعت نسبة غير محدد إلى (19%)، وهي نسبة غير المعنيين. أمَّا بالنسبة إلى هذا الشعور حسب نوع العمل، فنرى (55%) من عمال البناء وإصلاح السيارات يعتزون بالعمل في الأرض، و (40%) من أصحاب الحرف والمحلات والعاملين في الورش يدركون هذا الشعور، وكلهم من الذكور، أمَّا الإناث فلا يتولد لديهن مثل هذا الشعور، وانخفضت النسبة لدى العاملين بالاختصاصات العلمية والموظفين من الذكور إلى (30%) و (15%) من الإناث، وكانت نسبة من لا يشعرون بالاعتزاز من أصحاب الاختصاصات العلمية والموظفين (79%) من الفئين والجنسين.

10– المؤشر (10): أرغب بملكية الأرض ولا أحب العمل بها:

الجدول (20): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (10).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	4	%40	3	%30	3	%30	10
	44 . 35	ذ	6	%60	2	%20	2	%20	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	5	%50	2	%20	3	%30	10
		إ	–	–	3	%60	2	%40	5
	44 . 35	ذ	5	%50	3	%30	2	%20	10
		إ	–	–	3	%60	2	%40	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	15	%50	7	%25	8	%25	30
		إ	10	%50	5	%25	5	%25	20
	44 . 35	ذ	20	%67	5	%17	5	%16	30
		إ	12	%60	4	%20	4	%20	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	18	%51	9	%26	8	%23	35
	44 . 35	إ	6	%40	4	%27	5	%33	15
المجموع			101	%51	50	%25	49	%24	200

إن التملك غريزة إنسانية، يحبها الإنسان ويسعى إليها، وتبقى ملكية الأرض أغلى ما يمكن أن يملكه الريفي، وهذا ما عبر عنه أفراد العينة في جديدة عرطوز حين أجاب (51%) من أفراد العينة (نعم) يحبون ملكية الأرض ولكنهم لا يحبون العمل بها، مقابل (25) (لا)، و (24%) غير محدد، وغير محدد تحتمل عدة أسباب منها أنهم لا يملكون المال لشراء الأرض، أو لديهم أرضٌ تكفيهم، أو أنهم لا يرغبون في تملكها أصلًا.

وكانت أعلى نسبة من الراغبين في ملكية الأرض من الفئة العمرية الثانية للعاملين في الاختصاصات العلمية ومن الموظفين وبلغت (63%) ومن الجنسين، ما يدل على الرغبة في تجميد الأموال المتوافرة لديهم في الأرض، وبلغت نسبة (نعم) للفئة الثانية من العاملين في البناء وإصلاح السيارات (40%)، بينما انخفضت نسبة الفئة الأولى إلى (40%)، وهذا المؤشر يتوافق مع المؤشر السابق، في الخروج إلى البرية.

11- المؤشر (11): ملكية الأرض تربط الفرد بالقرية:

الجدول (21): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (11)

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	6	%60	2	%20	2	%20	10
	44 . 35	ذ	7	%70	2	%20	1	%10	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	6	%60	3	%30	1	%10	10
		إ	2	%40	2	%40	1	%20	5
	44 . 35	ذ	5	%50	3	%30	2	%20	10
		إ	2	%40	2	%40	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	21	%70	7	%29	2	%1	30
		إ	15	%75	3	%15	2	%10	20
	44 . 35	ذ	24	%81	5	%17	1	%3	30
		إ	7	%35	8	%40	5	%25	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	16	%46	15	%43	4	%11	35
	44 . 35	إ	9	%60	3	%20	3	%20	15
المجموع			120	%60	55	%27	25	%13	200

أثبتت إجابة (60%) من أفراد العينة أن ملكية الأرض تربط الفرد بقريته، وبهذه النسبة عبر أفراد عينة البحث في قرية جديدة عرطوز عن أن الملكية تربطهم بالقرية، وليس العمل في الأرض، وكانت أعلى نسبة للعاملين في الاختصاصات العلمية (75%)، في حين انخفضت نسبة الطلاب بفئاتهم كلّها إلى (53%)، ونسبة الفئة الثانية إناث إلى (35%) ما يدل على أنَّ الإناث يجدن عوامل أخرى تشدهن إلى القرية غير العمل في الأرض، لكن الملاحظ أن (60%) من الطالبات يرين أن التملك يشدّ الفرد إلى قريته.

12– المؤشر (12): تأثير توفر فرص العمل على البقاء في القرية:

الجدول (22): إجابات أفراد العينة عن المؤشر (12).

نوع العمل	الفئة العمرية	الجنس	الإجابات						مج
			نعم	ن	لا	ن	غ	ن	
عمال البناء وإصلاح السيارات	34. 25	ذ	7	%70	2	%20	1	%10	10
	44 . 35	ذ	8	%80	1	%10	1	%10	10
الحرف والورش والمحلات	34 . 25	ذ	6	%60	3	%30	1	%10	10
		إ	3	%60	1	%20	1	%20	5
	44 . 35	ذ	5	%50	2	%40	1	%20	10
		إ	2	%40	2	%40	1	%20	5
الاختصاصات العلمية والموظفون	34 . 25	ذ	20	%66	7	%29	3	%15	30
		إ	14	%70	3	%15	3	%15	20
	44 . 35	ذ	22	%73	7	%23	1	%4	30
		إ	15	%75	3	%15	2	%10	20
الطلاب جامعيون ودراسات عليا	34 . 25	ذ	22	%63	8	%23	5	%14	35
	44 . 35	إ	6	%40	4	%27	5	%33	15
المجموع			130	%65	43	%21	27	%14	200

دل هذا المؤشر على أن الارتباط بالقرية يمكن أن يكون بغير العمل الزراعي، ولكن مجرد العمل، أي عمل، في القرية يشد الأفراد إلى البقاء في القرية، فأجاب (65%) من مجمل أفراد العينة (نعم) إن توفر فرص العمل يساعد على الاستقرار في القرية، مقابل (21) أجابوا (لا) و (14) غير محدد. وكانت أعلى نسبة للفئة الثانية من العاملين بالبناء وإصلاح السيارات (80%) يليها العاملين بالاختصاصات العلمية من الفئة الثانية (ذكور وإناث) وهم الأكثر وعيًا واستقرارًا ماديًا، في حين انخفضت نسبة الطلاب إلى (52%) للفئتين والجنسين. ومن الطبيعي أن يكون عامل توفر فرص العمل في القرية هو عامل جذب، بغض النظر عن نوعية العمل، ولذلك كانت (جديدة عرطوز)، عامل جذب واستقرار، إذ يقطنها حاليًا ما يزيد على 160 ألف نسمة.

عاشرًا: التحليل الاجتماعي للبيانات:

بعد التحليل الإحصائي أصبح من الممكن إجراء التحليل الاجتماعي للمؤشرات، والإجابة عن الأسئلة الرئيسية في الاستبانة، ومدى تحقيق الفروض المسيرة للبحث، وصنفت مؤشرات الأسئلة الرئيسة كما يأتي:

- مؤشرات السؤال المتعلق بالعمل بالأرض.
- مؤشرات السؤال المتعلق بالنظرة المادية إلى الأرض.
- مؤشرات السؤال المتعلق بالانتماء والارتباط بالقرية.

وقبل البدء بالتحليل الاجتماعي لابدَّ من التنويه إلى أن التغير في النظرة إلى قيمة الأرض قد بدأت في مرحلة مبكرة من القرن العشرين، رصدها حليم بركات في دراسته الاستطلاعية للمجتمع العربي، وقال: "**بضرورة ردم الفجوات بين القرية والمدينة، إذ تبدلت أنماط المعيشة في كلتيهما، وتلاشت بعض الحدود الفاصلة، ونزح بعض المتعلمين والمتعلمات من القرية، وتقهقر العمل الزراعي**" [16].

إن تقهقر العمل الزراعي كان في مرحلة ما بسبب الهجرة من الريف إلى المدينة بحثًا عن عمل، لكن، في الوقت الراهن نرى هجرة معاكسة، أدت إلى تمدن الريف، وغيرت أنماط المعيشة فيه بوضوح. وفي رواية (نداء الصفصاف) قال أحد الفلاحين متكلمًا باسمهم:" **تهدمت العلاقة بين الفلاح والأرض، ودخل القرية عامل جديد، وملاك جديد لم تعرفه سابقًا، وحلت علاقات أساسها النقود والعقود المبرمة في المكاتب بعد أن كان العمل والتعب والجهد أساس هذا الارتباط، خلال السنوات السابقة لم تستقر الأرض، والقلق لا يعطي، فاستراحت، ولم تعد قادرة على الخصب، فأجدبت وفقدت القدرة على العطاء**" [17].

إنَّ هذه الرؤية أعطت للأرض في الريف قيمة أخرى غير القيمة الاجتماعية التي تميزت بها الحياة الريفية. إذًا، كانت هناك عوامل متعددة أدت إلى هذا التغير المستمر.

وفيما يأتي سيتم تحويل الأرقام الإحصائية إلى دلالاتها الاجتماعية:

أولًا: مؤشرات تتعلق بالعمل بالأرض:

1- التحليل الاجتماعي للمؤشر (1): مساعدة الأهل في أعمال الحقل:

تباينت إجابات أفراد العينة عن هذا المؤشر حسب نوع العمل، ونرى تحولًا أدى إلى الاستقرار في العمل غير العمل الزراعي، وأصبحت مساعدة الأهل في أعمال الحقل ثانوية، فقط بنسبة (23%) من مجمل أفراد عينة البحث في جديدة عرطوز يساعدون أهلهم، وذلك لأسباب منها عدم توفر الوقت، أو أن العمل الآخر يدر ربحًا أكثر، ونرى

[16]- بركات، حليم: مرجع سابق، ص: 89.

[17]- قسام، يحيى: نداء الصفصاف "رواية"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990.

تدرجًا في مدى مساعدة الأهل يتعلق بعدة عوامل منها الحاجة إلى الأهل، أو توفر الوقت أو طبيعة السكن...

2– التحليل الاجتماعي للمؤشر (2): الخروج إلى البرية ومعرفة أراضي الأهل:

قد لا يعمل الفرد في الأرض، وقد لا يساعد أهله، ولكن كيف يقدّرها إن لم يعرفها، أو إن لم يخرج إليها، ويتعرف ترابها؟ ولذلك أدى هذا المؤشر دلالة اجتماعية مهمة، فنسبة (22%) من مجمل أفراد عينة البحث لا يخرجون إلى البرية، ونسبة (25%) غير محدد، أي يتساوى في نظرهم الخروج مع عدم الخروج، فكيف تفكر هذه النسبة من أفراد العينة بقيمة الأرض؟ ومن المعروف أن الفلاح يخرج إلى البرية حتى وإن لم تكن مزروعة، أو إن لم يكن لديه عملٌ بها، ولوحظ أن الطلاب أكثر الفئات خروجًا، وذلك لأنهم ما زالوا بحاجة إلى أهلهم، في حين الإناث بشكل عام أقل خروجًا إلى الأرض، وإن خرجن فللتنزه وليس للعمل.

3– التحليل الاجتماعي للمؤشر (3): عمل أفراد العائلة في الأرض:

يمثل العمل الاجتماعي بالنسبة إلى الفلاح جوهر العلاقة معها، والمعيار الأساس الذي تقاس به قيمتها، فوجود الفلاحين خلال عملهم بالأرض، يشدهم إليها من جهة، كما يشدهم إلى بعضهم من جهة أخرى، فهل ما زال العمل في الأرض يأخذ بعده الاجتماعي، ويشكل أساس العلاقة في ريف دمشق، ممثلًا بقرية جديدة عرطوز؟

تساوت إجابات أفراد العينة بين (نعم) و (لا)، فأكثر من (40%) من الأسر التي تملك أرضًا زراعية، لا يعملون بها لأسباب مختلفة، وهذا ما يؤدي آليًا إلى أن تفقد الأرض قيمتها الاجتماعية، حتى في نظر هذه الأسر، ومن ثمَّ في نظر أبنائها لاحقًا، وتتحول تلقائيًا إلى سلعة يسهل بيعها والتخلي عنها.

4– التحليل الاجتماعي للمؤشر (4): التعامل مع المواشي والدواجن:

يعدُّ التنوع في الإنتاج من السمات الأساسية في الريف، ويساعد المنزل السكني الأفقي في الريف في تأدية هذه المهمة، إذ يمكن من تربية الدواجن والمواشي، ويُستفاد من بيضها وحليبها ولحومها، كما يستخدم الفلاح فضلاتها في تسميد أرضه ومزرعته، وفي قرية جديدة عرطوز تحول شكل البناء بنسبة كبيرة إلى البناء الطابقي، ولم يعد هناك مجال لتربية الدواجن والمواشي، ولذلك انخفضت نسبة من يستطيع التعامل مع المواشي والدواجن إلى (37%)، وأغلبهم من عمال البناء والعاملين في إصلاح السيارات، ممن لديهم مسكن يساعد على ذلك، وكاد أن تتلاشى معرفة التعامل، بتربية المواشي بالنسبة إلى الطلاب، إذ انخفضت إلى (16%) تقريبًا لكلا الجنسين، ما يشير إلى الابتعاد المتزايد لأبناء القرية عن السمات الأساسية التي تميز القرية.

ثانيًا: مؤشرات تتعلق بالنظرة المادية إلى الأرض:

5- التحليل الاجتماعي للمؤشر (5): إنتاج الأرض يغطي نفقات الأسرة:

من المعروف في حياة القرية أن الفلاح يكتفي ذاتيًا مما تنتجه الأرض والمزرعة، بما يربيه من الدواجن والمواشي، ولذلك يعمل هو وأبناؤه في الأرض، وتصبح بالنسبة إليهم وسيلة إنتاج، وفي هذه الحالة لا يفكرون بهجرها أو البحث عن عمل آخر، لكن عندما تقول نسبة (68%) من إجابات عينة البحث في جديدة عرطوز: إنَّ إنتاج الأرض لا يكفيهم، فهذا يؤشر لماذا راح الفلاحون وأبناؤهم يبحثون عن عمل آخر، داخل القرية أو خارجها، ولذلك تعددت أنواع الحرف والمحلات والاختصاصات العلمية، بحثًا عن تحقيق التوازن بين الدخل والإنفاق، ما أدى إلى وجود قيم جديدة دخلت بقوة إلى النسق القيمي وخلخلت توازنه، واهتزت معاييره، وأثرت بشكل خاص في القيمة الاجتماعية للأرض مصدر القيم في الريف.

6- التحليل الاجتماعي للمؤشر (6): توافق النظرة إلى قيمة الأرض بين العامين بغير العمل الزراعي والأهل:

استكمالًا للمؤشر السابق القائل إنَّ إنتاج الأرض لا يكفي نفقات الأسرة، صيغ المؤشر الدال على مدى تحقيق التوافق بين نظرة الأبناء العاملين بغير العمل الزراعي من عينة البحث، وكلهم من الشباب والكهول وأعمارهم بين (25-44) سنة، وبين أهلهم، فمن الطبيعي أن تكون نسبة عدم التوافق تقارب (63%)، لأنَّ الحياة الاجتماعية التي عاشها الأهل، وأعمارهم الآن بين (60-80) سنة، غير تلك التي يرغب فيها أبناؤهم اليوم، فمع تغيّر العمل تغيّرت النظرة إلى قيمة الأرض، فالأرض التي كانت تحتضن الفلاحين في مزارعها وسهولها وتحت أشجار زيتونها، يعيشون مع بعضهم كل مباهج الحياة ومنغصاتها، هذه الأرض تغيّرت، كما تغيّر شكل البناء، وأدوات المعيشة، ما أدى إلى تغيّر في نسق القيم الاجتماعية، وأهم مكوناته القيمة الاجتماعية للأرض.

7- التحليل الاجتماعي للمؤشر (7): ثقة العاملين بغير العمل الزراعي بالاستثمار في الأرض:

قد يدخر العاملون من أبناء الريف في مختلف مجالات العمل، غير العمل الزراعي، بعض المال، ومن المفروض، كونهم أبناء فلاحين، عاشوا في القرية ومزارعها، أن يشدهم العمل الزراعي، ولكن الذي حصل، أن (80%) من أفراد عينة البحث في قرية جديدة عرطوز، لا يفكرون في الاستثمار بالعمل الزراعي، وقد يكون ذلك استفادةً من تجارب المزارع الكبيرة، حيث يستأجر أصحابها اليد العاملة في المجالات كلّها، ومن ثمَّ يخسرون أموالهم، ولذلك فإنهم يجنحون إلى شراء الأرض وتركها انتظارًا للربح التجاري بين فرق السعر بين الشراء والبيع؛ أي إنَّها أضحت كأي سلعة تباع وتشترى، وليس لها أي قيمة اجتماعية تجعلهم يتمسكون بها.

ثالثًا: مؤشرات تتعلق بالانتماء:

8– التحليل الاجتماعي للمؤشر (8): نسبة من باعوا أرضًا وتصرفوا بثمنها:

في مرحلة من مراحل الحياة الريفية، ليست بعيدة، ويمكن تحديدها حتى الثمانينيات من القرن العشرين، كان الفلاح يخجل من نفسه إذا فكر بأن يبيع أرضه، وكان لهذا التفكير، قبل أن ينفذ، مدلول اجتماعي، ويعني أنَّه مع تخليه عن أرضه، سوف يتخلى عن جيرانه، وهذا ما يسبب له إحراجًا شديدًا أمام أقربائه وزوجته التي تعبت معه في أعمال الحقل سنوات وسنوات، ولكن، الآن، عام 2018، نرى أن نسبة (61%) من عينة قرية جديدة عرطوز باعوا أرضًا من أراضيهم، وتصرفوا بثمنها، دون أي مراعاة للجيران، وكانت الأرض المبيعة قرب المناطق السكنية، وهي قابلة للزراعة المروية، وإذا سئل أبناء الفلاحين: هل أفاد الأهل من عملية البيع؟ أجابوا: خسرنا الأرض، ثم خسرنا المال، ويمكن القول فضلًا عن لذلك: إن تغيرًا في العلاقات الاجتماعية قد حدث لغير مصلحة أبناء القرية، وحلّ واقع اجتماعي جديد.

9– التحليل الاجتماعي للمؤشر (9): الارتباط المعني بالأرض، والاعتزاز عند العمل بها:

يعدُّ العمل كرامة للإنسان، والعمل هنا غير محدد بنوعه بل بمفهومه المطلق، وهو عكس البطالة التي تجلب المذلة لصاحبها، ولذلك يصف الريفيون من لا يعمل بـ (البطّال)، أو (الَفلَتي)، ومن هذا المنطلق، فإن الفلاح يعتز بعمله في الأرض مهما كان هذا العمل صعبًا، ويتبارى الفلاحون والفلاحات في سرعة إنجاز أعمالهم، ووفرة محاصيلهم، ولكن، أن يجيب (58%) من مجمل أفراد عينة البحث في قرية جديدة عرطوز، بأنَّهم لا يشعرون بالاعتزاز لعملهم في الأرض، فهذا يعني أنهم لا يعملون، مقابل (23%) يعتزون بعملهم في الأرض، وأغلبهم من العاملين في البناء وإصلاح السيارات، وهي أعمال صعبة أيضًا، وكذلك فإنهم مازالوا على تواصل مع العمل الزراعي، ومع أسرهم، وهذه النسبة من سكان القرية ما زالت تحب الأرض، وتحب العمل بها.

10– التحليل الاجتماعي للمؤشر (10): المفاضلة بين الرغبة في التملك وحب العمل في الأرض:

أثرت صعوبة العمل الزراعي من جهة، وضعف إنتاج الأرض في القرية من جهة أخرى في الرغبة في العمل الزراعي، ولكن أفراد العينة، بنسبة (51%) فضلوا ملكية الأرض على العمل فيها، وأغلبهم من أصحاب الاختصاصات العلمية؛ أي إنَّه لا يمكن لهم أن يعملوا بالزراعة، بل يرغبون في شراء الأرض ليثبت وجودهم في القرية مع أهلهم،

أو ليجمدوا أموالهم، لأنَّ ذلك أفضل من إيداعها في البنوك والمصارف، وكذلك أفضل من استثمارها زراعيًا، في نظرهم، لأنَّ سعر الأرض في ارتفاع مستمر.

إن التملك من هذا النوع يخلو من أي قيمة اجتماعية، لأنَّ الأرض إمَّا أن تترك بورًا، أو تسور بسور مرتفع، وفي الحالتين تفصل عن المجتمع وتفقد قيمتها الاجتماعية.

11- التحليل الاجتماعي للمؤشر (11): الشعور بأنَّ ملكية الأرض تربط الفرد بالقرية:

ظلّ أبناء الريف يرون في الأرض عامل ارتباط ووجود، فأجاب (60%) من أفراد العينة عن هذا المؤشر (نعم) إن ملكية الأرض تربط الفرد بقريته، وتعدُّ هذه الإجابة إيجابية بالمفهوم العام، ولكن للملكية هنا قيمة مادية وليس قيمة اجتماعية، فهذه النسبة تفصل بين الملكية والعمل، لأنَّ للعمل قيمة اجتماعية تكتمل بالملكية، كما أجاب (25%) من أفراد العين، بأنَّ الملكية لا تحقق الارتباط بالقرية، ويرون عوامل غيرها تربط الفرد بقريته، وقد يكون العمل. تبقى رغبة أفراد العينة في قرية جديدة عرطوز مجرد رغبة قد لا تتحقق، خاصة لدى أولئك الذين باعوا أرضهم، ولم يعد بإمكانهم الحصول عليها أو الوصول إليها.

12- التحليل الاجتماعي للمؤشر (12): تأثير عامل فرص العمل في البقاء في القرية:

يؤكد أبناء قرية جديدة عرطوز انتماءهم إليها، حتى وإن لم يتوفر لهم عمل زراعي في الأرض، لضيق المساحة المزروعة، أو لجفاف مصادر الري، أو لتغيّر شكل البناء في القرية، لكن انتماءهم يتم من خلال العمل، فنسبة (65%) من العينة تؤكد البقاء في القرية إذا توفرت فرص العمل، وهذه النسبة المرتفعة كانت لدى الجنسين، والفئتين العمريتين، ومختلف أنواع العمل، وأكد (75%) من عمال البناء والعاملين في إصلاح السيارات والورش، أن البقاء في القرية مرتبط بتوفر فرص العمل، وليس بالأرض، وهذا يعنى تراجع قيمة الأرض في نظر أبناء القرية حسب عينة جديدة عرطوز.

- **النتائج والمقترحات:**

بعد التحليل الاجتماعي أصبح بالإمكان صياغة النتائج والمقترحات.

1- النتائج التي تم التوصل إليها:

النتيجة الأولى: تحقق الفرض الرئيس المسير للبحث، والقائل: قد يفقد العاملون بغير العمل الزراعي من أبناء الريف علاقتهم بالأرض، ومن ثمّ تصبح بالنسبة إليهم سلعة، ما يؤدي إلى سهولة بيعها أو هجرها. وتأكد هذا الفرض من خلال الإجابة عن المؤشرات:

المؤشر(3) الدال على خروج الأسر إلى العمل في الأرض، فقد أجابت نسبة (40%) فقط من أفراد العينة بأنَّ أسرهم يخرجون للعمل في الأرض، كما أجاب (61%) من أفراد العينة بأنَّ أهلهم باعوا الأرض وتصرفوا بثمنها حسب المؤشر (8)، وأنَّ (6%) فقط من أفراد العينة يثقون بالاستثمار في العمل الزراعي. ما يدل على تزايد ضعف تمسك الفلاحين في القرية بأراضيهم.

النتيجة الثانية: يبتعد المتعلمون عن الأرض ويضعف ارتباطهم بها بحكم طبيعة العمل، وهناك قسم كبير منهم لا يعرف الأراضي التي يملكها أهله. وهذا ما أكدته المؤشرات (1) الدال على مساعدة الأهل في أعمال الحقل؛ إذ (9%) فقط من مجمل العاملين في الاختصاصات العلمية ومن الفئات كلّها يساعدون أهلهم، ونسبة (18%) من الطلاب من الجنسين والفئتين، يساعدون أهلهم في أعمال الحقل. ودل المؤشر (12) على أنَّ فرص العمل مهما كان نوعها، تؤدي إلى الارتباط بالقرية، وليس العمل الزراعي وحده، إذ أجاب (70%) من أصحاب الاختصاصات العلمية (نعم) و (53%) من الطلاب بأنَّ فرص العمل تؤدي إلى البقاء في القرية.

النتيجة الثالثة: يخرج الطلاب الجامعيون إلى العمل في الأرض ليس حبًا بها بل إرضاءً لرغبة أهلهم. وأثبت ذلك المؤشر (7) إذ أجاب (11%) فقط من عينة الطلاب بأنَّهم يشعرون بالاعتزاز في أثناء العمل في الأرض، وعن المؤشر (10) أجاب (45%) من الفئتين العمريتين بأنَّهم يفضلون ملكية الأرض على العمل بها، وأن (6%) فقط منهم يشاركون أهلهم النظرة القيمية إلى الأرض حسب المؤشر (6).

هذه النسب لا تدلُّ على الرغبة بالعمل في الأرض، بل الابتعاد المتزايد عنه.

النتيجة الرابعة: يرى الطلاب الجامعيون أن مستقبلهم في العلم وليس في العمل الزراعي، ويرفضون الانتماء إليها، وهذا ما دلت عليه المؤشرات، المؤشر (8) إذ رأى (61%) من أفراد العينة أهلهم يبيعون الأرض ويتصرفون بثمنها. ودل المؤشر (11) على وجود نسبة (40%) من الطلاب لا ترى أن ملكية الأرض تربط الإنسان بالقرية، وأجاب (51%) من الطلاب أن توفر فرص العمل تؤدي إلى الاستقرار في القرية، وفي الحالات كلّها لم يقصد بالعمل العمل الزراعي فقط، بل أي نوع من العمل.

النتيجة الخامسة: يوفر الحرفيون من أبناء القرية وقتًا للعمل في الأرض، ويجيد قسم منهم التعامل مع الدواجن والمواشي كرافد لدخله. فعن المؤشر (1) أجاب (33%) منهم تقريبًا أنهم يجدون وقتًا لمساعدة الأهل، وهذه النسبة قليلة إذ يحصلون من حرفهم على مردود أعلى مما يحصلون عليه من العمل مع الأهل، في حين أجاب (65%) من الحرفيين والعاملين في الورش بـ (نعم) أي إنَّهم يجيدون التعامل مع المواشي والدواجن وتربيتها.

النتيجة السادسة: باع (61%) من الفلاحين أرضًا، وتصرفوا بثمنها، وذلك حسب المؤشر (8) بغض النظر عن الأسباب التي دفعت للبيع، وفي الوقت ذاته نجد ضعف الرغبة في الاستثمار الزراعي، إذ أجاب (80%) من مجمل العينة على المؤشر (7) بـ (لا)

النتيجة السابعة: الإناث لا يرغبن بالمطلق الاستثمار في الزراعة. وهذا ما عبرت عنه الإجابة عن المؤشر (7)، إذ لم يرغبن في الاستثمار الزراعي ومن الفئات العمرية وأنواع العمل والاختصاصات كلّها، ولا يخفى لما لهن من تأثير في توجيه أفراد العائلة نحو اختيار مجالات العمل، في الوقت الراهن وفي المستقبل.

النتيجة الثامنة: هناك فرق بين الرغبة بالتملك، والعمل في الأرض، إذ وجدت نسبة كبيرة من العينة يرغبون بملكية الأرض ولكن لا يحبون العمل فيها. وهذا ما عبرت عنه الإجابات عن المؤشر (10) إذ أجابت نسبة (51%) من أفراد العينة بأنَّهم يفضلون ملكية الأرض على العمل بها، وذلك مقابل (25%) يرون الأرض من خلال العمل، ووجد (24%) غير محدد ويصح توجههم في الاتجاهين.

تدلُّ هذه النتائج على توجه عام نحو العمل الذي يغطي النفقات ويلبي الاحتياجات، وبذلك تتحقق النظرية الاجتماعية لروبرت بارك القائلة بالاستقرار من خلال التوازن، والتطور من خلال العمل.

إن ارتفاع سعر الأرض، وتشتت ملكيتها بفعل قانوني (الإرث وتزايد عدد السكان)، دفع سكان الريف القريب من المدينة إلى البحث عن أعمال أخرى أكثر فائدة من العمل الزراعي، ما أدى إلى تحول قيمة الأرض من القيمة الاجتماعية التي لا تقدر بثمن، إلى سلعة يسهل بيعها وشراؤها.

2- المقترحات:

إن معالجة مثل هذه الظاهرة، الابتعاد عن الأرض، لا يمكن أن تتم من خلال دراسة واحدة، وفي مرحلة زمنية محددة، ومن الواضح أن مساحة ملكية الأرض الزراعية قد تجزأت بسبب الزيادة الكبيرة في عدد السكان، وقانون الإرث، وعليه سوف تركز المقترحات على استثمار المساحات الصغيرة، التي يمكن صياغتها كما يأتي:

آ- العمل المتكامل والمنهجي لتعليم أبناء الريف استثمار المساحات الصغيرة القليلة، بزراعات مناسبة، تؤمن دخلًا ولا تشكل إرهاقًا جسميًا.

ب- تشجيع أبناء الريف على العمل لتأمين الاكتفاء الذاتي من الخضار واللحوم من الحدائق المنزلية، حال توفرها، أو المساحات القليلة الممتلكة.

ج- العمل على إعادة جر مياه نهر الأعوج (الأنهار المحلية)، بمنع التعديات الطارئة عليها، هذه التعديات حرمت عددًا كبيرًا من القرى من مياه هذه الأنهر.

د– تخفيض أسعار الوقود المخصص لاستخراج المياه الجوفية من الآبار الارتوازية، حيث يصبح استخراج الماء اقتصاديًا، ليؤمن المحصول ربحًا معقولًا.

هـ– نظرًا إلى إسهام العاملين في الحرف اليدوية من أبناء القرية، يسهمون في العمل الزراعي، لذلك يقترح وضع منهجية وخطط تشارك بها الجمعيات الفلاحية والجهات المعنية، للاستثمار المشترك لبعض المحاصيل الملائمة لطبيعة الأرض ولتوفر المياه.

و– أن يدرك الجميع أن تغيرًا ما قد حصل، وغير نمط المعيشة في القرية، ولذلك يقترح مسايرة هذا التغير وتوجيهه، والبحث عن وسائل جديدة تربط السكان بقراهم، مثل المشاريع الاستثمارية الصغيرة.

ز– مادامت الحرفيات والاختصاصيات وجدن حياتهن في عملهن الجديد، لذلك يقترح توجيه البنات نحو الحرف اليدوية، وتشجيع التخصص العلمي لمن يرغبون به.

ح– مرّ القطر بأزمة عاصفة أثرت في مجتمعه، وبناه الاجتماعية جميعها في الريف والمدينة والبادية، وغير قيمه، ودون شك أثر في مجتمع البحث، وهذا ما يحتاج إلى دراسات متعددة ومتخصصة، ولذلك لم تُدرَج آثارها في هذا البحث.

الملاحق

الملحق (1):

استبانة بحث ميداني: تغير نظرة العاملين بغير العمل الزراعي من سكان القرية إلى قيمة الأرض

أولًا: معلومات شخصية للمستجيب:

- العمر: ( ) سنة
- الجنس: ذكر ☐ أنثى: ☐
- طبيعة العمل: - حرفي (أي مهنة): ☐
- اختصاص علمي (أي اختصاص): ☐

طالب جامعي ☐ طالب ماجستير☐ طالب دكتوراه☐

الصديق المحترم: هذا الاستبانة لصالح البحث الجامعي وتهدف إلى تعرّف على نظر العاملين بغير العمل الزراعي ومن أهل القرية، إلى قيمة الأرض.

مسلسل	المؤشر	نعم	لا	غير محدد
ثانيًا: مؤشرات تتعلق بالعمل بالأرض				
1	أساعد أهلي في أعمال الحقل			
2	أعرف مواقع كل الأراضي التي يملكها والدي			
3	يعمل أفراد عائلتي في الأرض بشكل دائم			
4	أتعامل مع الدواجن والحيوانات التي تملكها الأسرة			
ثالثًا: أسئلة تتعلق بالنظرة المادية				
5	إنتاج الأرض يغطي نفقات الأسرة			
6	أوافق والدي وجدي في نظرتهم إلى قيمة الأرض			
7	أفكر باستثمار أموالي خارج العمل الزراعي			
8	باع والدي أرضًا لعدم الإفادة منها			
رابعًا: مؤشرات تتعلق بالانتماء				
9	أشعر بالاعتزاز عندما أعمل في الأرض			
10	لا أرغب ببيع الأرض ولا أحب العمل بها			
11	أشعر أن ملكيتنا للأرض تربطني بالقرية			
12	أفكر بالهجرة لقلة فرص العمل في القرية			
السؤال المفتوح: بوصفك ابن القرية، ما تقيمك للأرض هل لها قيمة اجتماعية أم قيمة مادية:.....شكرًا لتعاونكم				
خامسًا: درجة تعاون المستجيب:				
1	2	3	4	5
غير مقبول	مقبول	جيد	جيد جدًا	ممتاز

المراجع:

المراجع العربية:

1- بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلح العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1978.

2- بركات، حليم: المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط5، بيروت، 1996.

3- التركي، ثريا؛ وزريق، هدى: تغير القيم في العائلة العربية، اللجنة الاقتصادية لغرب آسية، عمان، 1995.

4- الخطيب، عبد العزيز: اتجاهات تغير البنية الاجتماعية في مدينة معضمية الشام، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق،2001.

5- سمحة، موسى: تباين معدلات النمو السكاني بين المدن الأربع الرئيسة الأردنية وضواحيها، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (32)، العدد (1)، 2016.

6- قسام، يحيى: عوامل تغير القيم في الريف، رسالة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق، 1998.

7- قسام، يحيى: نداء الصفصاف "رواية"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990.

8- كابان، فيليب؛ ودورتيه، فرانسوا: "علم الاجتماع" مقالة كتبها لوران موشيلي، بعنوان: "دوركهايم، مؤسس السوسيولوجيا الحديثة"، ت: إياس حسن، دمشق، 2013.

9- كرد علي، محمد: غوطة دمشق، دار الفكر، دمشق، 1984.

10- الأحوال المدنية في جديدة عرطوز، والبلدية ومختار القرية.

المواقع الكترونية:

1- http: //alfarid1-yoo7. Com/loginy 2018/7/11 .